موت فنان(*)

(*) نشرت في مجلة ((الاقلام)) العدد: ١- ٢- ٣- كانون الثاني، شباط، آذار- ١٩٩٤

الشخصيات:

- محمد: رسام، دون الأربعين
- المدير: مدير الفندق
- موسى: متعهد معارض الفنانين
- النادل: من عمال الفندق
- الفتاة: ذات جمال خاص، دون الثلاثين

[فندق من طراز قديم خال من الرواد تقريبا. يتسم بالرغم من نظافته الظاهرة بالكآبة. يدخل محمد وهو رجل في حدود الخامسة والثلاثين بادي الإنهاك والتعب عليه مظاهر من قدم من سفر مرهق. يحمل حقيبة ملابس صغيرة].

محمد: (مصعوقا) أي فندق هذا؟ لو لم يكن مضيفي تاجرا ترى أين كان يسكنني؟ هيه!! من هنا؟ أما من أحد هنا؟ (يصفق. لا أحد. يقترب من مكتب الإدارة. يرتمي على مقعد يتثاءب) ما كان ينبغي ان.. ان.. (يتثاءب، يغمض عينيه، يسترخي، يدخل مدير الفندق، يرمقه بامتعاض).

المدير: (يتخذ مكانه خلف المكتب) سكران؟ سكران في الظهيرة؟ اعوذ بالله: (يخرج دفاتره يحدث ضوضاء متعمدا. محمد يتملل ينهض..)

محمد: (يتقدم منه، نصف نائم) أأ أنا.. أنا.. محمد.. محمد الجبل...

المدير: (ببرود وبلا حماس) تشرفنا... هل من خدمة؟

محمد: (مستاء من بروده) يفترض ان تكون ثمة غرفة محجوزة باسمي (لنفسه) وارجو من كل قلبي ان لا تكون... كي لا ارى وجهك المكتئب مرة اخرى.

المدير: (يبحث بين سجلاته) من قلت؟ (محمد لا يجيب) أ.. أ.. هنا (ينهض لاستقباله) قل محمد الرسام. قل محمد الفنان الذي ننتظره بلهفة

وشوق. ياأهلا.. ياأهلا.. لقد تأخرت ياأستاذ.. حتى كدنا نيأس من وصولك.

محمد: (يتثاءب) الطائرة.. الكمارك.. الاجراءات أ أ أت.. (يسد فاه)

المدير: تفضل وارتح في الصالة.. ريثما اعلم السيد موسى بوصولك (يخابر)

محمد: لا. لاتفعل ارجوك (يمنعه) لا تعلم أحد بوصولي (يحلق فيه المدير بدهشة) مؤقتا، اعضاء جسمي هدها التعب. ستتساقط على بعضها اذا لم اخذ قدرا كافيا من النوم. كل ما أطلبه من حضرتك مفتاح غرفتي.

المدير: كيف؟ ان السيد موسى في غاية القلق ولا بد ان..

محمد: (بصرامة) المفتاح رجاء (بين ذهول واستغراب يناوله المدير مفتاحا.. يتأمله يصرخ ملسوعا) لا. هذا الرقم لا. اعطني اية غرفة اخرى (يرمي المفتاح على المكتب. تزداد دهشة المدير. يهز رأسه باستخفاف)..

المدير: (لنفسه) شرقي.. شرقي آخر يؤمن بخرافة الارقام (يبحث عن مفتاح اخر)

محمد: (بغضب شديد) اجل شرقي. وشرقي حتى النخاع (يستدير مغادرا الفندق)

المدير: (قافزا من فوق المكتب) استاذ ارجوك. استاذ (يلحق به ويمسك حقيبته) لم اقل ما يغضبك تعال.. تعال.. ارجوك. خذ اية غرفة تشاء.. كل غرف الفندق فارغة.. تقريبا..وغير الفارغة افرغها لك في الحال ((يسحبه متوسلا.. يقوده بنفسه إلى غرفته. يفتح له الباب) تفضل ياسيدي.. تفضل. اقامة سعيدة بإذن الله (يعود إلى مكتبه) ياه! مرجل..مرجل يغلي. أي فنان هذا! (ينشغل بأعماله المكتبية.. يظلم المسرح لفترة

مناسبة.. ثم يضاء.. القائمون على الخدمة في حركة لـــترتيب الموانـــد والمقاعد الخ.. ثمة غادون ورائحون.. فلانل.. يدخل موسى)

موسى: (متوجها الى المدير) متى وصل؟ اين هو؟ في اية غرفة؟

المدير: هناك (موسى يتوجه إلى الغرفة) انصحك الا تقترب منه..

موسى: (يتوقف) لماذا؟

المدير: اخشى ان يفترسك.. انه مخلوق مفترس. فنانك الغريب هذا...

موسى: (يعود اليه) من؟ محمد؟ محمد الجبل؟

المدير: بالضبط محمد.. محمد الجبل..

موسى: انت واهم.. انه انسان، رقيق، في منتهى الدماثة والخلق

المدير: هه... انت لا تعرفه.. اذن!

موسى: (يدنو منه) وهل تعرفه.. انت؟

المدير: انا؟ لا.. لم اره.. الا اليوم.

موسى: كيف تحكم عليه.. بهذه السرعة؟

المدير: ان لي حدسا لا يخطيء. هل تعرفه انت منذ زمن طويل؟

موسى: ليس طويلا جدا.. تعرفت عليه في العام الماضي، في بيروت حيث أقـــام معرضا مشتركا، مع مجموعة من فنانين مغمورين، فـــي فنـــدق مـــن الدرجة الثالثة.. الدعاية صفر.. الاعلام صفر.. انه فنان جيد. افضلـــهم جميعا.. ولكن لا يحسن الحديث عن نفسه ولا الاعلان عن فنه!

المدير: وتوليت انت هذه المهمة..

موسى: تلك مهمتي.. ولي تاريخ يشهد بالنجاح والتوفيق..

المدير: اصطياد الفنانين المغمورين...

موسى: ليس كل المغمورين.. وأنما اولئك الذين لهم مستقبل. ومحمد له مستقبل مرموق. شاب ذكي واع.. ماهر في فنه لولا بعض الاشكالات..

المدير: اشكالات (باهتمام خاص) ماذا تقصد؟

موسى: لا استطيع ان احدد بالضبط.. فهو مكتوم وقليل الكلام. ويبدو لي انه احد الذين نبذوا.. وطنهم.

المدير: هراء.. لا احد ينبذ الوطن.. إذا لم يستحل الوطن قبرا او ماهو اضيق من القبر. ومع هذا لا ينبذه. وأنما يظل يحمله صليباً. مدقوقا في عظمه، وجرحاً فاغرا فاه، في قلبه. لا يشفي ولا يندمل الا بتراب الوطن نفسه، وهوائه ورائحة ناسه وخبزه.

موسى: انت تعمم تجربتك الخاصة على الكل كما لو كانت قانونا كونيا

المدير: انه قانون كل انسان اصيل، يخترقه الوطن عبر العشق وتحقيق الذات ولا يرتبط به بحبال المنفعة والمصالح الشخصية. هل انت واثق ان السيد محمد.. من.. من.

موسى: (يضحك) السيد؟ قبل هنيهة كان كائناً مفترسا..

المدير: لا.. لا.. كان حاد المزاج.. عصبياً، مثاراً ومستفزا.. لـلا سبب. فحسبت انه.. لا.. لا.. هو.. هو.. طفل.. طفل.. مفطوم، على الرغم منه.. هكذا يكون الاولاد المرغمون على الفطام.

موسى: سبحان مغير الاحوال! ما علينا. قل اين وضع اللوحات؟

المدير: اللوحات؟ اية لوحات. كان فارغ اليدين الا من حقيبة ملابسه.

موسى: ياالهي المعرض يفتتح في الخامسة وحتى الان لم نفعل شيئاً.

اللهم عونك (يتجه نحو غرفة محمد. يطرق الباب طرقاً متواصلاً).

محمد.. افتح يا محمد.

محمد: لا تحطم الباب. انا قادم (يفتح ما يزال بملابسه نفسها) من؟ موسى؟

موسى: اجل موسى. موسى الذي ستنقلب الدنيا فوق رأسه. ما هذا التأخير؟ ابن اللوحات.. ياسي محمد؟

محمد: (يتثاءب) صا.. در.. وها.. في.. المطا.. ر.

موسى: كيف؟ مستحيل؟ لم يبق على الافتتاح سوى ثلاث ساعات.

محمد: لعلهم حسبوني مهرب لوحات. او تاجر مخدرات.. المهم أعطوني هذه الورقة!

موسى: (يخطفها) هيا.. هيا.. معي.. ارجوك.. أسرع.. اسرع.. والا انهار كل شيء.

محمد: الا تراني باي حال انا؟ (يتثاءب) لا اقوى على الوقوف على قدمي أذهب انت، واذ تعود تجدني جاهزاً.

موسى: ارجو ذلك. بل لابد. لابد. يا محمد ولا تنس ان تكتب كلمة لدليل المعرض. ضروري. ضروري جدا (يخرج مسرعاً محمد يغلق الباب.. تعلو شقشقة المياه من غرفته.. يتوافد البعض. يدلفون إلى الصالة. المدير ما يزال منغمرا في عمله).

محمد: (خارجاً نظيفاً. انيقاً. يرتدي بدلة اخرى. يحمل مجموعة اوراق. يتوجه الى المدير) يجب ان اعتذر منه. لقد كنت فظاً معه. (يتوقف. اذ يراه. منهمكاً. يدخل الصالة. ينادي النادل) قهوة.. رجاء (يشعل سيجارة يشرع بالكتابة يشطب ماكتب. يكتب مجددا. يشطب ثانية، يمزق الورقة. ثم يمزق اخرى واخرى) لا. لا. لا. استطيع كتابة عبارة واحدة. انا رسام. والرسام يفكر ويكتب بالخطوط والظلال لا بالكلمات والحروف.

المدير (يدخل حاملا... القهوة) القهوة..يأستاذ محمد..

محمد: (في غاية الارتباك) غير معقول. انت بنفسك! مستحيل.. اه.. ارجوك عفوك ياسيدي.. كنت قادماً لاعتذر منك. ولكني وجدتك مشغولا.. وأنا... انا اعتذر... و.. و.. خجل مما بدر مني.. ياسيدي.

المدير: انت ضيفنا.. ياعزيزي.. تزور بلدنا لأول مرة. الواجب يقتضي ان نخدمك، وكان ينبغي ان اقدر ما انت عليه من تعب وارهلق و..

محمد: لتجلس معي..ارجوك. شرّفني...

المدير: انت الشرف يأأخ.. انا اليوم وحدي. وسنلتقي.. حتماً.. وتطول لقاءاتنا.. بإذن الله... وسأسعد بك يا سيدي (يودعه)

محمد: ياله من رجل! (يرفع له يده محيياً. يحتسي قهوته. يحاول الكتابة ثانية. يمزق أوراقا أخرى) لا.. لا سبيل. لماذا لا اترك المساحة المخصصة لي فارغة؟ وادع عين المشاهد تكتب عليها ما ترى. او بالاحرى ادع لوحاتي من خلال عين المشاهد تكتب ما ترى؟ (بحماس) فكرة رائعة!! (ينادي النادل) لو سمحت قهوة اخرى رجاء (يكتب) ثمة رسامون يرسمون ويكتبون واخرون يرسمون فقط، تعصى عليهم الكتابة. وانا بلا تواضع ولا غرور انتمي لهذه الفئة، لذا أتنازل لك. ايها المشاهد الصديق، عن البقعة الممنوحة لي.. لتخط فوقها ما تمليه عليك رؤيتك (يسترخي.. يدخن.. يرقب الداخلين والخارجين. وفجاءة واثر دخول فتاة ممشوقة، جذابة، يتوتر، ويصرخ) يارب السماوات والشعرى!! لا. لا. مستحيل. لا يمكن ان تكون هذه المخلوقة امرأة (يدخل النادل بقهوة واذ يراه مذهولا بها. يقف خلفه، صامتاً..يراقبه بفضول) وان كانت كذلك. فلا بد ان تكون لصة او مغتصبة او ساحرة... او.. او كل أولئك

معا. مصبوبة في هيئة امرأة خارقة الجمال واستأثرت بأجمل مـــا فـــي نساء الكون جميعاً.

النادل: القهوة.. يا سيدي (محمد غير حافل به) قهوتك يا استاذ (محمـــد يتعقـــب الفتاة بنظراته.. النادل بضحكة مكتومة) القـــهوة ياســـيدي (صارخـــا) القهوة يا..

محمد: (يجفل) ضعها ياأخي ولا تثقب اذني بزعيقك. الا تراني مشغولا.

النادل: (بسذاجة) اين اضعها ياسيدي؟

محمد: يا له من سؤال (بمرح) ضعها فوق راسي يا تاج رأسي. ضعها في عينـــي يا أعز من عيني. أين توضع القهوة في رايك؟ اليس فوق المنضـــدة؟ ام لك اجتهاد آخر في هذه المعضله التي تعاني منها؟

النادل: (يضحك بطلاقة) الاوراق ياسيدي. اوراقك تغطي المنضدة كلها.

محمد: اوراقي؟ إلى جهنم كل اوراقي (يدعكها ويلقيها في سلة المـــهملات) والان أيتسع هذا الفضاء الشاسع لفنجان صغير (النادل يضع القهوة وهو مـــا يزال يضحك) اين؟ أين ستحط رحالها هذه الناقـــة الحســـناء؟ (تجلـــس الفتاة خلفه. يتحول هو إلى الكرسي الاخر بحيث يكون قبالتها، يـــؤدي اشارات فجة صبيانية.هي لا تحفل به. تصفق.. يقبل نحوهـــا النـــادل) ستطلب زجاجة بيرة، وسأشرب انا معها او وحدي في نخبها، ولأجلها، عشر زجاجات...

الفتاة: عصير... ليمون (ينحني النادل) بارد.. بارد جداً (ينصرف النادل)

محمد: معقول؟ عصير؟ واخيبة املي فيك ياناقتي!! سأرسمها سأرسم هذه الانثـــى الخارقة. موناليزا.. انها تشبه موناليزا. وأذ تخرج من مخيلتي ســـتكون اجمل من موناليزا دافنشي. هي.. اللوحة التي الـــهث وراءهـــا ابحـــث

عنها عبر مئات اللوحات التي رسمتها.. اه.. لو نظرة.. نظرة.. واحدة طفلة..لقاء نظراتي المليون التي اصبها فوقها..فوق كل جزء فيها.. مثل شلالات بي خال، الشاسعة، المدرارة.. ذات الفضاءات التي لاتحدَ (النادل يأتيها بقدح العصير.. هي تلتقط سيجارة من علبة سجائرها.. وقبلما تشعلها، يقفز نحوها محمد.. وبين إصبعيه عود ثقاب مشتعل.. ينطلق كمن يهذي) سيدتي.. آنستي..او.. او.. اميرتي. لست صائد فتيات. ولا طالب لذات عابرات. ولكن جمالك اخترقني.. بهرني. اخترقني. زلزل كياني. فاسمحي لي ان اجلس قبالتك، كبوذي متعبد، أتأملك حسب.. اصلي صلاتي الخاصة. في محراب جمالك.. لعلي استعيد بعض توازني الذي اختل. ولك علي الف يمين ان انصرف إلى حال سبيلي وقتما تشاءين وأول ما تأمرين. وها أنا امامك، طائعاً مستسلماً لقضائك، مثل محكوم بالاعدام ينتظر العفو والعودة إلى الحياة او.. او الاعد..ام..

الفتاة (ترنو اليه بدهشة. ثم تبتسم.. كالمغلوبة على امرها) لا باس.. اجلس..

محمد: (غير مصدق)..ماذا.. ماذا قلت؟

الفتاة: الم تسمعني؟

محمد: سمعتك.. وسمعتك معي كل ذرة في كياني.. ولكني رجل طماع اريد ان اسمعك للمرة الالف. للمرة المليون.. ويسمعك معي كل الكون..

الفتاة: (تضحك) حسناً.. لابأس.. لابأس..

محمد: يارحمة السماء الواسعة! (يرتمي على المقعد فتختض المائدة. ويهتز القدح، يمسكه بسرعة) اه.. يبدو اني لست وحدي الذي اختل توازنه.. وانما الكرة الارضية برمتها. قد باتت تعاني من اختلال في التوازن.

الفتاة: (تخرج مجموعة مناديل ورقية تمسح المائدة) حصل خير.. حصل خير..

محمد: كل الخير.. كل الخير (يخطف المناديل التي تهم الفتاة بالقائها في سلة المهملات يطويها بعناية يضعها في جيب الصدر) فوق القلب هذه المناديل تحمل عطرك... مكانها فوق القلب... بل في القلب.. ولو استطت ان اشق قلبي وازرعها فيه.. لفعلت..

الفتاة: (تزداد دهشتها.. ترنو اليه بصمت. كأنها تشك في قواه العقلية هو الاخر يسكت.. يتأملها بصمت.. تدخن..تنفث دخانها.. يطول صمتهما بعض الشيء) اما لديك شيء تقوله؟ (محمد في ذهوله) هيه.. اتحدث اليك..

محمد: (كمن يستيقظ من حلم) ها؟ عفوك.. ماذا قلت؟

الفتاة: اقول.. أما عندك شيء تقوله؟..

محمد: ها؟.. لا.. في الحقيقة.. لا.. لاشيء و..و.. وانت؟

الفتاة: انا؟ انا ماذا؟

محمد: لا.. لاشيء.. عو..عو.. عودي كما كنت... استديري نحو مسقط الضوء.. هكذا.. هكذا.. ارفعي ذقنك قليلاً إلى الاعلى..(يتلمس ذقنها)

الفتاة: (تدفع يده بقوة) ما هذا يا أستاذ. ماذا تحسبك فاعلاً.. لم تمض دقيقة على لقائنا. ولم نتفاهم على أي شيء.. وتمد الي يدك.. فتلمسني.. وتحركني كما تشاء... هل أنا دمية؟

محمد: (يرتبك كثيراً) انا.. انا... بل.. بل.. انت.. انت... مونا ليزا

الفتاة: ليزا؟ ومن تكون ليزا هذه... عشيقتك؟

محمد: بل... بل... معبودتي... اقصد... اقصد... انت هي... هل معك مرآة...

الفتاة: مرآة؟ هل تلعب السحر؟

محمد: اريك معبودتي بكل ما فيها من جاذبية وسحر...

الفتاة: (تعطيه مرآة صغيرة) خذ... ارني معبودتك... ولنر نهاية اللعبة.

محمد: (يضع المرآة في مواجهتها) انظري... تأملي هذه معبودتي... موناليزا.

الفتاة: هل تستهزيء بي... هذه انا... عفيفة بنت...

محمد: انت... صحيح. ولكنك انت... لست عفيفة.

الفتاة: (بغضب) ماذا تقصد يا استاذ... انا...

محمد: انت... انت موناليزا... ذلك كل ما اقصد... لا تسييء فهمي ارجوك...

الفتاة: هل تعرفني اكثر مما اعرف نفسي.

محمد: بالتأكيد... بكل تأكيد...

الفتاة: مخبول قطعاً... انت رجل مخبول...

محمد: ربما... ولكن...

الفتاة: من تكون على اية حال... من انت؟

محمد: (مسحوراً) انا... انا دافنشي... ليوناردو دافنشي... الذي خلق مونـــليزا... وأنا...

الفتاة: خواجه؟ (تطلق ضحكة) لا يبدو عليك... انك (تطرد سحابة الدخان)

محمد: (يمسك بيدها) بل دعيها... ارجوك... دعي سحائب الدخان حول وجهك... انها تجعلك تبدين مثل القديسات... التي تحيط بوجوهن هالات النور...

الفتاة: القديسات؟ (تطلق ضحكة اخرى) من هن القديسات؟

محمد: انت واحدة منهم (يغمض عينيه) وانا اراك احلاهن واطـــهرهن (يتأملـــها بصمت)

الفتاة: (تبحلق فيه) ماذا هل تنام؟ نمت... لماذا لا تتكلم...؟

محمد: حين ارسم... لا اتكلم.

الفتاة: ترسم؟ ماذا ترسم؟ترسم من؟

محمد: ارسمك انت.

الفتاة: ترسمني؟ أين اصباغك؟ اين اوراقك... هل رسم احـــد مـــن غــير ادوات الرسم؟ ثم.. ثم.. هل ترسمني وانت مغمض العينيـــن. ام.. ام تســخر مني حسب (يدخل موسى كالزوبعة. يتوجه نحو محمد)

موسى: رفضوا تسليمي اللوحات. لم تنفع كل الشفاعات، يصرون على حضـــورك شخصياً.. هيا معي.. هيا (يشرب قدح الماء بسرعة) هيا... هيـــا... لا وقت لدينا...

محمد: ليس الان. ليس الان...

موسى: بعد الان..يفوت الاوان.. واقرأ على معرضك السلام.

محمد: إلى جهنم... معرضي وسائر لوحاتي... عدا واحدة لما تكتمل

موسى: والقاعة التي حجزتها؟ والأموال التي صرفتها والدعوات التي...

محمد: اخي لا تشغلني ارجوك... الا تراني ارسم...

موسى: ترسم؟ ماذا ترسم؟

محمد: (بفخر) موناليزا القرن العشرين. اللوحة التي احلم بها منذ عشقت أنـــاملي الفرشاة تأملها. تأمل البراءة والنقاء! (يشير إلى الفتـــاة التـــي تغـض بصرها)

موسى: (بنبرة ساخرة) البراءة والنقاء! تالله ما أنت إلا مجنون!! أو.. أو.. لابـــد أن أكون أنا المجنون... إذ ارتبطت معك بمشاريع والتزامات... هيـــا قم معي... قبلما يضيع كل شيء....

محمد: مستحيل.. ببساطة... مستحيل... لو مادت بي الأرض.. أو أطبقت علـــي السماء. لما تحركت قبلما انهي لوحتي... آخر لوحاتي وأعظمها.

موسى: ليكن. أمهلك نصف ساعة. إذا لم تأت معي أحملك كافة الخسائر المادية وغير المادية.. يا محمد يا جبل...

محمد: موافق.. اطلب لنا قهوتين وأنت خارج...

الفتاة: محمد؟ جبل؟ الم تقل ان اسمك فنشي او منشي.. او شيء من هذا القبيل... يا لك من ماكر.. لقد جعلتني اعتقد انك خواجه.. (يدخل رجل انيق يلقي على الفتاة نظرات خاصة.. يجلس على مقربة منهما)

محمد: (كمن يحدث نفسه) شيئان في الانسان ينفرانني.. وفي المرآة بوجه خاص يرعبانني. اتعرفين ماهما؟ (الفتاة تختلس النظر إلى الرجل الانيق. لا تجيب) الا يهمك ان تعرفي؟ (لا تجيب) ومع هذا سأقول لك... انهما ياسيدتي الدمامة والبلادة. وانت قد اجتزت الاولى بتفوق كبير... اما الثانية... فابتهل إلى الله ان... ان... (يغمض عينيه) حدثيني عن نفسك.

الفتاة: ها؟ ... ماذا تريد ان تعرف؟

محمد: طالبة؟

الفتاة: لا.

محمد: موظفة اذن؟

الفتاة: ايضا.. لا.

محمد: كيف تعيشين... من يصرف عليك..

الفتاة: اعمل...

محمد: بأجر يومي؟

الفتاة: (تضحك) يومي.. ليلي.. في الساعة.. حسب الطلب...

محمد: كيف؟ لا افهم...

الفتاة: حقا؟

محمد: حقا.

الفتاة: طفل.. ام غبي؟

محمد: (بلا انفعال) لا ادري ربما الاثنين معــاً. مدمنـــة علـــى مشـــاهدة الافـــلام المصرية.؟

الفتاة: حد العشق.. كيف عرفت ؟(يدخل النادل... يضع القهوتين، تبعد قهوتـــــها) انا لا اشرب القهوة..

محمد: هات لها قدح عصير...

الفتاة: ميرسي (تضرب على بطنها) لقد امتلأت.

محمد: بيرة؟ ما رايك بزجاجة بيرة؟

الفتاة: (تنتفض) منكر؟ اتدعوني إلى منكر؟ اعوذ بالله!

محمد: (بدهشة) منكر؟ هل دعوتك إلى الكذب. إلى الغش.. إلى القتل... إلى..

الفتاة: إلى ماهو العن (للنادل). شكراً. لا اريد شيئاً، (ثم) هل نظل هنا؟

محمد: اسف، لا اريد اثارة غضبك، ولكن ذهني مشـــغول بعـــض الشـــيء. هـــلا توضحين.

الفتاة: اكثر مما أفعل..؟

محمد: إذا تسمحين...

الفتاة: حسناً... سأفعل... سأوضح.. هل اعجبك.. ام لا؟

محمد: (بحماس) تعجبينني... بالتأكيد... تعجبينني... إلى ابعد حد... وأنا...

الفتاة: هل افهم من قولك هذا... انك تريدني..

محمد: نعم..؟ ماذا تعنين؟

الفتاة: مرة أخرى؟ أرجوك لا تهدر من وقتي اكثر مما أهدرت

محمد: انا اسف.. اسف جدا... اذا كنت قد اهدرت وقتك دون ان اقصد...

الفتاة: لا بأس.. لا بأس.. كل شيء يمكن تعويضه... والوقت اكثر الاشياء التي بالامكان تعويضها اذ كنت تريد.هل تريد... هل تريد..؟

محمد: أ أ... أريد.. أريد ماذا ؟

الفتاة: يا ربي اعني.. (تهمس) اذا كنت تريدني هيا بنا إلى داري.. وهناك نتفاهم على كل شيء..والا فدعني.. اكسب عيشي من...

محمد: (شبه منهار) يا الهي... تعنين انك؟ (يغطي وجهه، يعجز عن الكلام، يؤدي اشارات خرساء) لا... اجرؤ.. ان... ان... اصدّق!

الفتاة: (ببساطة) صدّق. وذلك الرجل هناك.. بانتظاري...

محمد: لا.. لا.. مستحيل.. انت.. لا.. اه.. لا..

الفتاة: اهدا يا سيد.. اهدأ... ارجوك... ولا تلفت الي الانظار...

محمد: ولكن كيف؟ كيف..؟ انا.. انا

الفتاة: استر علي يا أخي.. اخي.. يستر عليك الرّب.

محمد: (يطلق ضحكة هستيرية) مخبول. غبي. مجنون.. وكل تلك النعوت المازحة في الظاهر.. والمبطنة باقذع الشتائم واسوأ النوايا. الان الان عرفت سرها.. ومن أي مستنقع كانت تنبع..

الفتاة: (بحدة) ارجوك، لا اسمح لك بإهانتي (تنهض).

محمد: (يجرها من يدها.. بقوة) هكذا تقومين؟ بلا ثمن.

الفتاة: (بنبرة توسل) ارجوك.. دعني.. لا تفضحني..

محمد: خذي (يفرغ جيبه مما فيه من نقود.. على المنضدة بطريقة مهينة) خذي ثمن وقتك الغالي الذي اهدرته..

الفتاة: (تلم النقود بصمت... تدسها في حقيبتها. تنهض).. شكرا (تتوجـــه نحــو الرجل الذي ينهض لاستقبالها.. مرحبا بها... تجلس إلى جانبه)

محمد: (في انهيار مفاجيء.. يتلوى.. يهذي) لا.. يمكن مستحيل.. طفلة.. بـــل.. بل.. ملاك.. و.. و.. اه.. لابد ان ثمة خطأ شـنيعا فـي الكـون. فـي الوجود. في المقدسات.. لوحتي.. لوحتي التـي لـم تكتمـل.. كيـف سأرسمها؟ بل كيف سأرسم اطلاقا؟ كيف سأعيش؟ ماذا ارسـم بعـد.. بعد.. (يمنع نفسه من التقيؤ) عو.. عو.. عو.. (يسـد فـاه بالمنـاديل الورقية)، اه.. لا.. (تضعف مقاومته... يتقيأ بشدة.. يرمـي المنـاديل مقززا... ينهض متحاملاً على نفسه.. متوجها نحو الحمـام.. الرجـل والفتاة يخرجان معاً. يسير محمد بضع خطوات.. يسقط علـى وجهـه وهو يتقيأ بضراوة. يسرع اليه مدير الفندق وموسى وبعض العاملين)

موسى: (بهلع شديد) الطبيب.. اطلبوا له الطبيب.. بسرعة.. انه يتقيأ احشـاءه.. اسرعوا.. اسرعوا..

المدير: ماذا جرى له، كان في احسن حال.. (يهجم على التلفون.. يخابر)

محمد: (بمشقة بالغة... وصوت متقطع لا يكـاد يسـمع) ا... أ... اول... طـا... ثر...ةأأأ.. احجزوا... لي... عـ.. عـ...على... اول... ط...

النادل: (باكيا) مات؟ اه مات.. اه يالهي.. (يبكي).

موسى: انه يتنفس.. ما يزال يتنفس... لنسرع به إلى المستشفى هيـا.. هيـا.. ساعدوني.. اسرعوا.. يا أخوان.. (يحملونه خارج الفندق)

النادل: اخ.. ياربي.. اخ.. (يبكي بمرارة)

المدير: (يسرع خلفهم مولولاً) اه ربي... رحمتك... ربي عونك!